تذكير الغافل والناسي
بخطر الذنوب والمعاصي

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الإمام البخاري
قطر - الدوحة
جوّال: ٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨+
فاكس: ٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨+
Email: albukharibooks@gmail.com

تذكير الغافل والناسي
بخطر الذنوب والمعاصي

بقلم
أبي عبد الله حمزة النايلي

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن آثار الذنوب والمعاصي: أنها تُحْدِث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء، والزرع والثمار والمساكِن).

الجواب الكافي (ص ٤٢)

وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (خاتمةُ السُّوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يَطَّلع عليها الناسُ، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت).

جامع العلوم والحكم (ص ٥٧)

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخير الهَدْي هَدْيُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن الله ﷻ خلق العباد وأمرهم بطاعته وحذرهم من معصيته، لأن في ذلك تعديًا على حدوده، وتجرؤًا على محارمه، وإفسادًا في الأرض بعد إصلاحها، وقد نهى سبحانه عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَي لا تُفْسِدُوا فيها بِالمَعَاصِي، والدُّعَاءِ إلى غير طَاعَةِ اللهِ، بعد إِصْلَاحِ اللهِ إِيَّاهَا بِبَعْثِ

الرُّسُلِ وَبَيَانِ الشَّرِيعَةِ، والدُّعَاءِ إلى طَاعَةِ الله) [(١)].

لكنَّ كثيرًا من الخلق لم يمتثلوا لأمره سبحانه، ولم يجتنبوا نهيه، فاقترفوا السيئات وجاهروا بالمحرمات وأفسدوا في البر والبحر والجو بالمنكرات، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: استعلن الفسادُ في البر والبحر، أي: فسادُ معايشِهم ونَقْصُها، وحلولُ الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها) [(٢)].

أيها الكرام، إن مما يُحزن كلَّ مؤمن محب للطاعات وغيور على انتهاك حرمات رب الأرض والسماوات، أن يرى تضييعَ كثير من المسلمين لِمَا افُترض عليهم من عبادات وبالأخص الصلوات!، وأن يشاهد الربا والغشَّ بينهم في كثير من

(١) تفسير البغوي (٢/ ١٦٦). (٢) تفسير السعدي (ص ٦٤٣).

المعاملات!، وأن يرى تَرْكَ بعضِ النساء المسلمات للحشمة وحجابهن الشرعي، وأصبحن كاسيات عاريات، يزاحمن الرجال في الأسواق والطرقات!، وأن يرى شباب المسلمين ونساءهم بدل أن يتبعوا هَدْيَ نبي الرحمة ﷺ ونسائه أمهات المؤمنين الطاهرات، قلَّدوا الكفار والممثلين والممثلات!، وأن يسمع أصوات المعازف مرتفعة في البيوت والسيارات بدل كلام رب البريات!.

ألم يدرك هؤلاء العصاة! أن في جهرهم بهذه المحرمات، والسعي لنشرها بين المسلمين استخفافًا بأوامر الله جل وعلا، وأوامر رسوله ﷺ، وقد حذر رسولنا ﷺ أشد التحذير من ذلك، فقال: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِين، وَإِنَّ من الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وقد سَتَرَهُ الله عليه فَيَقُولَ: يا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وقد بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنه**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٥٧٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ : (وفى المجاهرة بالمعاصي استخفافٌ بحق الله وحق رسوله ﷺ، وضَرْبٌ من العناد) [١] .

أيها الأحبة : إن المعاصي والذنوب الظاهرة والباطنة ضررُها في القلب كضرر السموم في البدن، فما حلَّت في ديارٍ إلا أهلكتها، ولا في أمة إلا أذلَّتْها، ولا في نفسٍ إلا أفسدتها، ولا في قلوبٍ إلا أعمتها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فعقوباتها عاجلة وآجلة تَحِلُّ بصاحبها، إذا لم يبادر بالتوبة إلى الله والرجوع عنها.

وقد أحببتُ في هذا الكتيب - الذي أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه - أن أُذكِّر كلَّ ناسٍ غفل عن خطر تلبُّسِه بالمعاصي، وأُبين له عاقبتَها الوخيمة سواء عليه كفرد، أم على المجتمع الذي يعيش فيه عمومًا، فلعل الله بجوده وكرمه ينفعني وإياكم بما أَذْكُره، ويكون سببًا لنا جميعًا في اجتناب

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٢٦٣).

المنكرات، والابتعاد عن المحرمات، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

العواقب السيئة للذنوب والمعاصي

آثار الذنوب

١- الذنوب سبب في إهلاك الأمم وتدميرها

لقد كانت تعيش قبلنا أمم تمتعت بالسعة في الرزق والرَّغَد في العيش والسلامة في الأبدان والأمن في الأوطان، إلا أنها بدَّلت ذلك كفرًا وجحدت بأنعُمِ الله ﷻ، وكذبت بالرسل واستهزأت بمن آمن بهم واتبع هديهم، فحلَّ عليها العقاب ونزل بها العذاب، فتبدلت عليها الأحوال وصارت مَضْرَبًا للأمثال، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فقوم عاد مثلا بعد أن كفروا بالله تعالى، أخذهم العُجب بقوتهم! فقالوا: من أشد منا قوة؟! فأهلكهم الله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٦-٧].

وثمود بعدهم، كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين فأهلكهم الله بالصيحة: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

وبعدهم فرعون وقومه كفروا بالله العظيم واستهزءوا بنبيهم موسى عليه السلام، وزعم فرعون أنه هو المعبود ولا يَعرف لقومه إلهًا آخرَ غَيْرَه! والأنهار تجري من تحته، فأطاعه قومه على باطله وارتضوا صنيعه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وجعل الأنهار تجري من فوقهم، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٩-١٢].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين، عاد وثمود، جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله، موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وأراه من الآيات البينات، ما تيقنوا بها

الحق، ولكن جحدوا وكفروا، ظلمًا وعُلُوًّا، وجاء من قبله من المكذبين. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾، أي: قرى قوم لوط، الجميع جاءوا ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾، أي: بالفعلة الطاغية، وهو الكفر والتكذيب، والظلم والمعاندة، وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش والفسوق.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا اسم جنس، أي: كل من هؤلاء كذبوا الرسول، الذي أرسله الله إليهم فأخذ الله الجميع ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾، أي: زائدة على الحد والمقدار، الذي يحصل به هلاكهم) [١].

نعم أخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، فدمر بيوتهم بالقذف والخسف والغرق! وتركهم لمن جاء بعدهم عبرة وآية، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ

(١) تفسير السعدي (ص ٨٨٢).

ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فما بالنا ونحن أضعف منهم قوةً، وأقل بطشًا، لا نخشى أن يُصيبنا ما أصابهم؟! وقد ذكر الله لنا قصصهم لنعتبر ونتعظ، ونمتثل أوامره ونبتعد عن نواهيه، فقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ٨-١٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى عن إهلاكِه الأُمَمَ العاتية، والقرونَ المكذِّبةَ للرسل، وأن كثرتهم وقوتهم لم تُغْنِ عنهم شيئا، حين جاءهم الحساب الشديد والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة، ومع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذابا شديدا. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: يا ذوي العقول التي تفهم عن الله آياتِه وعِبَرَه، وأن الذي أهلك القرون

الماضية بتكذيبهم، أن مَنْ بَعْدَهم مِثْلَهم، لا فرق بين الطائفتين.

ثم ذَكَّرَ عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه الذين أنزله على رسوله محمد ﷺ، ليخرج الخلق من ظلمات الجهل والكفر والمعصية، إلى نور العلم والإيمان والطاعة) [١].

فَأُفٍّ للذنوب والمعاصي، أيها الأفاضل، ما أقبح آثارها وما أسوأَ أخبارها، فظهورُها وفُشُوُّها في الناس نذير شؤم لنزولِ عذابٍ من الله جلَّ وعلا على أصحابها، فعلينا أن نعتبر بما جرى للأمم التي خرجت عن طاعة الله سبحانه، ونتعظ عند سماع أخبارهم، ونَكُفَّ عن التجرؤ على حدود الله تعالى، وانتهاك محارمه، قبل أن ينزل بنا ما نزل بمن كان قبلنا، ويصيبنا ما أصابهم، فنصبحَ لمن بعدنا كذلك عبرة! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٧٢).

٢- تُضعف تعظيم الله جلَّ جلاله في القلب

إن المجترئين على المحرمات الساعين إلى المنكرات، ما قدروا الله حق قدره، لأنهم لو عظموا الله ﷻ في قلوبهم ما استهانوا بأمره، ولا تهاونوا بنهيه، ولا قدموا أهواءهم على شرعه.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن عقوباتها - أي المعاصي - أنها تُضْعِف في القلب تعظيمَ الرب ﷻ وتضعف وقارَه في قلب العبد ولابد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لَمَا تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر وقال: إنما يحملني على المعاصي حسنُ الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضَعْفُ عظمتِه في قلبي، وهذا من مغالطة النفس، فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره، وكيف يقدره حَقَّ قدرِه أو يُعظمه أو يُكْبِرُه أو يرجو

وقاره ويُجِلُّه مَنْ يَهُون عليه أمرُه ونهيُه؟ هذا من أمحل المحال وأبين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله ﷻ وتعظيمُ حرماته ويهونُ عليه حَقُّه) [١].

فبعد أن ضَعُف تعظيم الباري سبحانه في قلوبهم زادوا من ارتكاب الذنوب والمعاصي فهانوا على الله سبحانه وابتعدوا عن رحمته، ولن يُكْرَموا مهما سعوا واجتهدوا في تحصيل ذلك، إلا أن يرجعوا إلى مَنْ بيديه الرفع والخفض والإكرام وهو الله جلَّ وعلا.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري: (هانوا عليه فعصوه ولو عَزُّوا عليه لعصمهم)، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، وإنْ عَظَّمهم الناس في الظاهر لحاجتهم

---

(١) الجواب الكافي (ص ٤٦).

إليهم، أو خوفًا من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه) [١].

٣- تؤدي إلى استصغار الذنوب

إن كثرة ارتكاب الذنوب والمعاصي تؤدي إلى التهاون فيها واستصغارها، وهذا ما ابتلي به بعض المسلمين اليوم، فترى بعضهم يحتقر الصغائر في نفسه، فيأتي بها ولا يبالي، ويقول: إنها صغيرة لا تضر! متناسيًا تحذير نبينا ﷺ من ذلك، وإخباره أنها قد تكون سببًا في هلاك أصحابها، حيث قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حتى أَنضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بها صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**» [٢].

---

(١) الجواب الكافي (ص٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٣١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٨٩).

ولهذا كان الصحابة (رضوان الله عليهم) من شدة خشيتهم وخوفهم من الله جل وعلا يعظمون ارتكاب الصغائر في نفوسهم، ويجعلون ذلك من الكبائر التي تؤدِّي بصاحبها إلى الهلاك.

قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ في أَعْيُنِكُمْ من الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا على عَهْدِ النبي ﷺ من الْمُوبِقَاتِ) [(١)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (إن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامةُ الهلاك؛ فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عَظُمَ عند الله) [(٢)].

وصدق ابن المعتز [(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٧)، وقال الموبقات: أي: (المهلكات).

(٢) الجواب الكافي (ص ٣٨).

(٣) عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧هـ)، كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا=

خلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها ذاك التقى
واصنَعْ كماشٍ فوقَ أرْ ... ضِ الشوكِ يَحذرُ ما يرى
لا تَحقِرنَّ صغيرةً ... إنَ الجبالَ من الحصى [١].

إن استصغار الذنوب أيها الأحبة يُولِّد الاستهتار بها، فيذهب بسبب ذلك من قلب الإنسان الخوفُ من الله تعالى، ويَجُرُّه ذلك للاستهانة بهذه المعاصي ومن ثم يقع العاصي في الكبائر والعياذ بالله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها، ما يُلْحِقُها بالكبائر، بل يجعلها في أعلى رتبها) [٢].

=مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني مخالطا للعلماء والأدباء معدودا من جملتهم، قتل يوم الخميس ثاني من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين (٢٩٦هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلِّكان (٣/ ٧٦).

(١) بستان الواعظين لابن الجوزي (ص١٢٠)، تفسير القرطبي (١/ ١٦١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٢٨)

فعلى المسلم أن يتقي الله سبحانه ولا يحقر شيئا من المعاصي مهما قلَّت، لأن المؤمن الحق يخاف من ذنوبه كلها وإن كانت صغيرة.

يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عليه، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ على أَنْفِهِ، فقال بِهِ هَكَذَا [١]) [٢].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : (إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من العقوبة، لأنه على يقين من الذنب، وليس على يقين من المغفرة، والفاجرُ قليلُ المعرفة بالله، فلذلك قَلَّ خوفُه فاستهان بالمعاصي) [٣].

---

(١) قال الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: (بيده فوق أنفه) يعني أنه تخلَّص منها بسهولة شديدة، بتحريك يده فقط. صحيح البخاري (٥/ ٢٣٢٤)

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥٩٤٩).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٢٨٧).

وعلى من أراد ارتكاب أي معصية، أن لا ينظر إلى صغرحجمها، وإنما عليه أن يتذكر عظمة من يعصي وهو الله جلَّ وعلا.

قال بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكنِ انظرْ إلى مَنْ عَصَيْتَ) [(١)].

فلا يأمن العاصي أن يأخذه الله تعالى بذنبه ولو بعد حين إذا لم يبادر بالتوبة والإقلاعِ عنه، فهو سبحانه يُمْهِل ولا يُهْمِل.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فينبغي لمن أراد أن يكون من جملة المؤمنين أن يخشى ذنوبه، ويَعْظُم خوفُه منها، ولا يأمن عقاب الله عليها فيستصغرها، فإن الله تعالى يعذِّب على القليل، وله الحجة البالغة في ذلك) [(٢)].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٤٣٠).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٨١).

٤- تُورث الذل

إن للخطيئة لذة يسيرةً زينها الشيطان لصاحبها ثُمَّ بعد ذلك تتلاشى وتحلُّ مكانها ولابد الآلامُ والحسراتُ، والذل والصغار والهوان إذا لم يبادر المذنب بالتوبة والندم على ما قدمت يداه.

يقول سليمان التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ : (إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح عليه مَذَلَّتُه) [(١)].

وصدق الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال :

ركوبُ الذنوبِ يُميت القلوبَ وقد يورثُ الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسك عصيانُها [(٢)]

---

(١) رواه ابن حبان في كتابه الثقات (٨ / ٣٨٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في حليه الأولياء (٣/ ٣١) من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه.

(٢) التوبة لابن أبي الدنيا (ص١٩)، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٦٧).

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (إن المعصية تورث الذل ولا بد، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى) (١).

فالعزة الحقيقية للعبد هي في طاعته لخالقه سبحانه، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (أي من كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فَلْيلزمْ طاعة الله تعالى، فإنه يحصل له مقصودُه، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعها) (٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : (بيَّن جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن من كان يريد العزة فإنها جميعها للَّه وحده، فليطلبها منه ولْيتسَبَّبْ لنيلِها بطاعته جلَّ وعلا، فإن من أطاعه أعطاه العزَّة في الدنيا والآخرة) (٣).

(١) الجواب الكافي (ص ٣٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٥٠). (٣) أضواء البيان (٦/ ٢٨٠).

٥- سبب لقسوة القلب وضيق الصدر

إن ارتكاب الذنوب والمعاصي مهما كان صغر حجمها سبب في قسوة القلب وضيق الصدر.

فالمتعدي على محارم الله، المتجرئ على حدوده، لا تفارق الوحشةُ نفسَه، ولا يجد السكينةَ والطمأنينةَ في قلبه وإنْ لبس أحسنَ الثياب وركب أفخمَ الدواب، وأظهر سرورًا وسكن قصورًا!.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما يُجَازَى به المسيء: من ضيق الصدر وقسوة القلب، وتشتته وظلمته، وحزازاته [١]، وغمه وهمه وحزنه، وخوفه - وهذا أمر لا يكاد مَنْ له أدنى حِسٍّ وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق: عقوباتٌ عاجلة، ونار دنيوية، وجهنم حاضرة. والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضى به وعنه،

(١) وجع في القلب. مختار الصحاح للرازي (ص٥٦)

وامتلاء القلب من محبته، واللَّهَج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثوابٌ عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة) [١].

فمن أراد انشراح الصدر وسعادته، فعليه أن يمدَّه بالأسباب التي تبعث فيه السرور والفرح من أنواع البر والطاعات.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ففي القلب شَعَثٌ لا يَلُمُّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأُنس به في خَلْوتِه، وفيه حُزنٌ لا يُذهبهُ إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلقٌ لا يُسكِّنُه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيرانُ حسراتٍ لا يُطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقةُ الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طَلبٌ شديد لا يقف دون أن يكون هو وحدَه مطلوبَه، وفيه فاقةٌ لا يسدُّها إلا محبَّتُه والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أُعْطِيَ الدنيا وما فيها لم تَسُدَّ تلك الفاقةُ منه أبدًا) [٢].

(١) الوابل الصيب (ص ٦٩) (٢) مدارج السالكين (٣/ ١٦٤).

٦- تزيل النعم وتمحق البركة

إن الله ﷻ من تمام عدله أن لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه أو سِتْرٍ هتكه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزًا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون) (١).

فما نَفَرَتِ النعمُ ولا حَلَّتِ النقمُ على قوم إلا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم.

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٥٩).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإن الذنوب تزيل النعم ولا بد، فما أذنب عبدٌ ذنبًا، إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع، رجعت إليه أو مثلُها، وإن أصر لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة حتى تُسلبَ النعم كلها) (١).

أيها الأحبة: إن ما أنعم الله تعالى به على عباده من الطاعات وأمور الدنيا كالصحة في الأبدان والزيادة في الأموال، قد يزال عنهم بالكلية ويتغير إلى نقمة، وهذا عقوبة لهم على ظلمهم وتغيرهم من فعل الطاعات إلى الاجتراء على المحرمات، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٤٠٨).

فعلوا ذلك غَيَّرَ الله ما بهم فسلبهم النعمة) [١].

وكما قد تزال النعم بالكلية - أيها الأحبة - بسبب الذنوب والمعاصي، فقد تبقى - أي النعم - ولكن تُنزع منها البركة فتصبح مع كثرتها لا يشعر بها الإنسان ولا يتلذذ بها عند مباشرتها، ولا تجلب له السعادة ولا السكينة، وهذا هو الملاحظ في زماننا فمع زيادة الأموال وكثرة ما تخرجه الأرض من بطنها! إلا أننا لا نستشعر لذلك لذةً ولا نجد له بركةً!، وهذا كله إنما هو بسبب ما تكسبه أيدينا من الذنوب والمعاصي! والله المستعان.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن عقوباتها - أي المعاصي - أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالجملة: إنها تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقلَّ بركةً في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما مُحِقَت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق) [٢].

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ٢٥٦). (٢) الجواب الكافي (ص٥٦).

٧- تَمنع من تحصيل العلم الشرعي والاستفادة منه

إن من أهم أسباب تحصيل العلم الشرعي والانتفاع به، تحقيق تقوى الله جل وعلا في السر والعلانية، وذلك بفعل ما أمر به من الطاعات وترك ما نهى عنه من المنكرات، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (امتثال العبد لتقوى ربه، عنوان السعادة وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئًا كثيرًا، فذكر هنا أن من اتقى الله، حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

الأول: الفرقان، وهو: العلم والهدى الذي يُفَرِّق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكلٌّ واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع.

يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع: الأجر العظيم، والثواب الجزيل، لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه)[١].

فالعلم الشرعي النافع هو نور يقذفه الله ﷻ في قلوب من يشاء من عباده، لكن هذا النور قد ينطفئ، وهذه النعمة العظيمة قد تذهب بسبب التعدي على حرمات الله والتجرؤ على حدوده، بارتكاب الذنوب والمعاصي، والله المستعان.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن العلم نور الله يقذفه في قلب عبده، والهوى والمعصية رياح عاصفة تطفئ ذلك النور أو تكاد، ولابد أن تُضعفه)[٢].

---

(١) تفسير السعدي (ص٣١٩). (٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٧٢)

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تُطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك - رحمهما الله - وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية) [(١)].

فما سَلَب الله تعالى نعمةً مَنَّ بها على عباده - ومن ذلك تحصيل العلم الشرعي والانتفاع به - إلا بسبب ما قدمت أيديهم من الذنوب والمعاصي والله المستعان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (والله سبحانه جعل مما يُعَاقَبُ به الناسُ على الذنوب: سَلْبَ الهدى والعلم النافع كقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وقال: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] وقال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

---

(١) الجواب الكافي (ص٣٤).

وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١٠] وقال: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]) (١).

فعلى من أراد تحصيل العلم الشرعي النافع أن يتقي الله ﷻ وأنْ يبذل الأسباب في تحقيقه، ومن ذلك البعد عن جميع المعاصي والمنكرات.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أحب أن يفتح الله قلبه، أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتناب المعاصي) (٢).

٨- تَحرم من الطاعة

إن الابتعاد عن المعاصي من أقوى الأسباب المعينة على فعل الطاعات والمداومة عليها، بإذن الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٥٢).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٧٥).

فقد يكون العبد مثلا حريصًا على صيام النهار أو قيام الليل، لكنه لا يستطيع ولا يُوَفَّقُ لذلك، بسبب ما قدمت يداه وما تقدمه من ذنوب.

يقول الفُضَيْل بن عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مُكَبَّل، كبَّلَتكَ خطيئتُك) [(١)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يَصُدّ عن طاعةٍ تكون بدله، ويَقْطع طريقَ طاعةٍ أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريقٌ ثالثة ثم رابعة، وهَلُمَّ جَرًّا، فينقطع عليه بالذنب طاعاتٌ كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلةً أوجبت له مِرضةً طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها، والله المستعان) [(٢)].

وقد نجد العاصي - أيها الأحبة - يعمل الطاعة ويجتهد في

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٩٦).
(٢) الجواب الكافي (ص ٣٦).

تحصيلها، لكن مع هذا لا يجد لها حلاوة ولا يستشعر لذتها أثناء القيام بها أو بعد الانتهاء منها، والله المستعان.

سئل وُهَيْب بن الوَرْد [١] رَحِمَهُ اللَّهُ: أيجد لذة الطاعة من يعصي؟ قال: ولا من همَّ [٢] أي: ولا مَنْ هَمَّ بها وعقد العزم عليها وإن لم يعملها.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ - مبينا أثر المعصية على فعل الطاعة -: (ومنها أنه يحرم حلاوة الطاعة، فإذا فعلها لم يجد أثرها في قلبه من الحلاوة والقوة ومزيد الإيمان والعقل والرغبة في الآخرة، فإن الطاعة تثمر هذه الثمرات ولابد) [٣].

فمن وفقه الله للطاعة ويَسَّرَ له سُبُلَها، فليحافظ على هذه النعمة ويشكر الله عليها، ويبتعد عما قد يكون سببًا في زوالها

---

(١) أبو أمية المكي، قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان من العباد، وكانت له مواعظ وزهد، مات رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ثلاث وخمسين ومائة). تهذيب الكمال للمزي (٣١/ ١٦٩).

(٢) صيد الخاطر (ص٦٦).

(٣) طريق الهجرتين (ص٤١١).

والمنع من التلذذ بها واستشعار حلاوتها، ومن ذلك فعل الذنوب والمعاصي.

٩- تُذهب الحياء وتَجلب معاصي أخرى

إن الذنوب تضعف الحياء الذي هو أصل كل خير ومنبعه، ومع كثرة فعل المعاصي والاستمرار عليها، قد ينسلخ عن قلبه الحياء بالكلية.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى أنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يُخْبِرُ عن حاله وقُبْحِ ما يَفعل، والحاملُ له على ذلك انسلاخُه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يَبْقَ في صلاحه مَطْمَعٌ)[١].

---

(١) الجواب الكافي (ص٦٩).

وإذا ذهب الحياء من العبد تولدت على ذنوبه ومعاصيه ذنوبٌ أخرى يستدعي بعضُها بعضًا، حتى تصبح المعاصي عنده عادة ويَعزُّ عليه مفارقتها، فيهلك من حيث لا يشعر.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمصيبةُ - كلَّ المصيبة - الذنبُ الذي يتولد من الذنب، ثم يتولد من الاثنين ثالث، ثم تقوى الثلاثة فتوجب رابعًا، وهَلُمَّ جَرًّا، ومن لم يكن له فِقْهُ نفسٍ في هذا الباب هلك من حيث لا يشعر، فالحسنات والسيئات آخِذٌ بعضُها برقاب بعض، يتلو بعضُها بعضًا ويثمر بعضُها بعضًا.

قال بعض السلف: (إن من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، وإن من عقاب السيئةِ السيئةَ بعدها)، وهذا أظهر عند الناس من أن تُضْرَب له الأمثال، وتُطْلَب له الشواهد، والله المستعان)[1].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٩).

خطر ذنوب الخلوات

أيها الأحبة الكرام: كما أن المعاصي الظاهرة هي أصل كل بلاء ومصدر كل شقاء، فكذلك ذنوب الخلوات فإنها من أعظم المهلكات.

لأن الذي يعصي الله ﷻ في السر حتى لا يراه الناس، قد جعل اللهَ أهونَ الناظِرين إليه، وهذا من ضعف إيمانه وتعظيمه للباري سبحانه.

قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم، أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة، على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم، وهو معهم بالعلم في جميع

أحوالهم، خصوصًا في حال تبييتهم ما لا يُرْضِيه من القول) [١].

فليحذر العبدُ من ذنوب الخلوات، فإن عواقبَها وخيمةٌ وأخطارَها جسيمة في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا فمن أضرارها، بُغض قلوب المؤمنين له ونُفْرَةُ نفوسهم عنه.

فعن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (حَذَرَ امْرُؤٌ أن تُبْغِضَهُ قلوبُ المؤمنِين من حيث لا يشعر)، ثم قال: (أتدري ما هذا؟) قلت: لا، قال: (العبدُ يخلو بمعاصي الله عَزَّوَجَلَّ، فَيُلْقِي اللهُ بُغْضَهُ في قلوب المؤمنين من حيث لاَ يَشْعُرُ) [٢].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ورأيتُ أقوامًا من المنتسبين إلى

(١) تفسير السعدي (ص٢٠٠).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢١٥). وقوله: (حَذَرَ) كذا في الأصل ولعلها: (لِيَحْذَر) والله أعلم.

العلم أهملوا نَظَرَ الحق ﷻ إليهم في الخلوات، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قَلْبَ يَحِنُّ إلى لقائهم) [(١)].

وأما في الآخرة فهو متوعد بعقاب شديد، فعن ثوْبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا من أُمَّتِي يَأْتُونَ يوم الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا الله ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا**» قال ثَوْبَانُ: يا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لنا، جَلِّهِمْ لنا؛ أَنْ لاَ نَكُونَ منهم وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ؟! قال: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ من اللَّيْلِ كما تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إذا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا**» [(٢)].

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: (خاتمة السوء تكون بسبب دَسِيسة باطنة للعبد لا يَطَّلع عليها الناسُ، إما من جهة عملٍ سيء ونحوِ ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سُوءَ الخاتمة

---

(١) صيد الخاطر (ص ٤٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

عند الموت) [١].

وليعلم المذنب أن أثر معصية الخلوة سيظهره الله لا محالة إذا لم يبادر بالتوبة والإنابة لله جل وعلا.

قال سليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبحُ وعليه مَذَلَّتُه) [٢].

فما أحوجنا - أيها الكرام - لملء قلوبنا بالخوف من الله ﷻ، فالقلب ما دام مستشعرًا روح الخوف من الله فإنه يظل عامرًا بالإيمان واليقين، مبتعدًا عن الكبر والعجب والرياء والحسد وسائر المعاصي والمنكرات.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم وسائر المسلمين تقواه في السر والعلانية، ويجنبنا جميعًا

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٥٧). وقوله: (دسيسة) أي خصلة سيئة خفية.

(٢) تقدم تخريجه.

الذنوب والمحرمات الظاهرة والباطنة، فإن في ذلك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
أبو عبد الله حمزة النايلي
الخريطيات/قطر

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المصادر
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
	البقرة	
[١٠]	﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾	٣٧
[٨٨]	﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾	٣٦
	آل عمران	
[١٠٢]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ . . .﴾	٧
	النساء	
[١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم . . .﴾	٧
[١٠٨]	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾	٤٢
[١٥٥]	﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾	٣٦
	الأنعام	
[١٠٩-١١٠]	﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾	٣٦-٣٧
	الأعراف	
[٥٦]	﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾	٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
	الأنفال	
[٢٩]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ . . .﴾	٣٤
[٥٣]	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	٣٢
	هود	
[٦٧]	﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ . . .﴾	١٦
	النحل	
[١١٢]	﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ . . .﴾	١٥
	الحج	
[١٨]	﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾	٢١
	العنكبوت	
[٤٠]	﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾	١٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
	الروم	
[٤١]	﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٩
	الأحزاب	
[٧٠-٧١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا . .﴾	٨
	فاطر	
[١٠]	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	٢٨
	الشورى	
[٣٠]	﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾	٣١
	الصف	
[٥]	﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٣٧
	الطلاق	
[٨-١٠]	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾	١٨

رقم الآية	الآية	الصفحة

الحاقة

[٦ - ٧] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ ١٥

[٩-١٢] ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾ ١٦

الأحاديث النبوية

الحديث	الصحابي	الصفحة
إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ	سهل بن سعد	٢٢
كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِين	أبو هريرة	١٠
لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا من أُمَّتِي يَأْتُونَ	ثوبان	٤٤

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
أيجد لذة الطاعة من يعصي	وهيب بن الورد	٣٩
إذا لم تقدر على قيام الليل	الفضيل بن عياض	٣٨
إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح	سليمان التيمي	٢٧ – ٤٥
إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ	ابن مسعود	٢٥
إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ	أنس	٢٣
حَذَرَ امْرُؤٌ أن تُبْغِضَهُ قلوبُ المؤمنين	أبو الدرداء	٤٣
من أحب أن يفتح الله قلبه	الشافعي	٣٧
لا تنظر إلى صغر الخطيئة	بلال بن سعد	٢٦

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القائل	الصفحة
خل الذنوب صغيرها	ابن المعتز	٢٤
ركوب الذنوب يحيى القلوب	ابن المبارك	٢٧

المصادر المعتمدة

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط . دار الفكر - بيروت .

٢- إعلام الموقعين لابن القيم / ط . دار الجيل - بيروت .

٣- بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي / ط . مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٤- تاريخ دمشق لابن عساكر / ط . دار الفكر - بيروت .

٥- تفسير البغوي/ ط . دار المعرفة - بيروت .

٦- تفسير ابن كثير / ط . دار الفكر - بيروت .

٧- تفسير السعدي / . ط . مؤسسة الرسالة - بيروت .

٨- تفسير القرطبي / ط . دار الشعب - مصر .

٩- التوبة لابن أبي الدنيا/ ط . مكتبة القرآن - مصر .

١٠- تهذيب الأسماء واللغات للنووي/ ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

١١- تهذيب الكمال للمزي / ط. الرسالة - بيروت.

١٢- الثقات لابن حبان / ط. دار الفكر - بيروت.

١٣- جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٤- الجواب الكافي لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية.

١٥- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني/ ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

١٦- شرح صحيح البخاري لابن بطال / ط. الرشد - السعودية.

١٧- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني / ط. دار المعارف.

١٨- سنن ابن ماجة / ط . دار الفكر - بيروت .

١٩- شعب الإيمان للبيهقي / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٠- صحيح البخاري / ط . دار ابن كثير .

٢١- صحيح مسلم / ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٢- صيد الخاطر لابن الجوزي / ط . دار القلم - دمشق .

٢٣- طريق الهجرتين لابن القيم/ ط . دار ابن القيم - السعودية .

٢٤- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي/ ط . دار الوطن - الرياض .

٢٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط . مكتبة ابن تيمية - مصر .

٢٦- مختار الصحاح للرازي / ط . مكتبة لبنان - بيروت .

٢٧- مدارج السالكين لابن القيم / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .

٢٨- مسند الإمام أحمد / ط . الرسالة - بيروت .

٢٩- مفتاح دار السعادة لابن القيم / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٠- الوابل الصيب لابن القيم / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .

٣١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلِّكان/ ط . دار الثقافة - لبنان .

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٧
العواقب السيئة للذنوب والمعاصي	١٣
١- الذنوب سبب في إهلاك الأمم وتدميرها	١٥
٢- الذنوب تُضعف تعظيم الله جلَّ جلاله في القلب	٢٠
٣- الذنوب تؤدي إلى استصغار الذنوب	٢٢
٤- الذنوب تُورث الذل	٢٧
٥- الذنوب سبب لقسوة القلب وضيق الصدر	٢٩
٦- الذنوب تزيل النعم وتمحق البركة	٣١
٧- الذنوب تَمنع من تحصيل العلم الشرعي والاستفادة منه	٣٤
٨- الذنوب تَحرم من الطاعة	٣٧
٩- الذنوب تُذهب الحياء وتَجلب معاصي أخرى	٤٠
خطر ذنوب الخلوات	٤٢
■ الفهارس العامة	٤٧

الموضوع	الصفحة
■ فهرس الآيات القرآنية	٤٩
■ فهرس الأحاديث	٥٣
■ فهرس الآثار	٥٥
■ فهرس الأبيات الشعرية	٥٧
■ فهرس المصادر	٥٩
■ فهرس الموضوعات	٦٣